

قراءة نقدية في "روح الشعب الأسود" للكاتب وليم إ. بورجهارت ديبيويس

A Critical Reading of "The Souls of Black Folk" by William E. Burghardt Du Bois¹

(دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية)

المؤلف: د. حامد رجب عباس (Dr. Hamed Ragab Abbas) الإيميل: Hamed.ragab7@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/25

تاريخ الاستلام: 2019/06/17

الملخص:

يتناول المقال قراءة نقدية لأطروحة "أبناء السيد والمسود" ضمن كتاب روح الشعب الأسود لويليام إ. بورجهارت ديبيويس، ويسلط الضوء على التفرقة العنصرية العميقة بين البيض والسود في الولايات المتحدة، خصوصًا في الجنوب الأمريكي. يستعرض ديبيويس واقع الانفصال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين الطرفين، وتكريس التمييز من خلال قوانين وممارسات مجحفة. ويقترح حلاً مشتركاً يتطلب تصحيحاً ذاتياً من الطرفين، إلى جانب دور محوري للدولة والمؤسسات التعليمية والإعلامية في ترسيخ قيم التسامح والمساواة. ويقدم المقال تحليلاً مفاهيمياً يربط التفرقة العنصرية بمفاهيم مثل الجريمة، وتغيب الحقوق، وانهايار القيم الإنسانية. ويختم بالتأكيد على استمرار التمييز العنصري بصور متعددة، داعياً إلى مشروع مجتمعي شامل يستند إلى قيم المساواة والأخوة والاحترام المتبادل لضمان الاستقرار والسلام الاجتماعي.

كلمات مفتاحية:

ديبوس، التفرقة العنصرية، الحقوق المدنية، المساواة، التسامح.

¹ Dr. Hamed Ragab Abbas

(Ph.D. in Political Science, Cairo University, Faculty of Economics and Political Science)

Abstract

This article offers a critical reading of W.E.B. Du Bois's chapter "Of the Sons of Master and Man" from *The Souls of Black Folk*. It highlights the entrenched racial segregation between Black and white Americans, particularly in the southern United States. Du Bois presents a detailed portrayal of the social, economic, and political marginalization of African Americans and the structural mechanisms that perpetuate discrimination. His proposed solution emphasizes mutual responsibility, urging both Black and white communities to engage in self-reflection and reform. The article also underscores the state's vital role, along with educational and media institutions, in cultivating values of tolerance, equality, and respect. Through a conceptual analysis, it links racial discrimination to broader issues like civil rights, social division, and institutional failure. The conclusion asserts that racism still persists in different forms and calls for a comprehensive societal framework rooted in shared human values to ensure social peace and justice.

Keywords:

Du Bois, racial segregation, civil rights, equality, tolerance.

● مقدمة :

قضية التمييز العنصري متعمقة الجذور في الولايات المتحدة الأمريكية. فمنذ أن حل الرجل الأبيض على القارة الأمريكية، بحث عن جميع الوسائل لاستغلال كل ما في القارة من طاقات بشرية وطبيعية. وقد حاول ترقية السكان الأصليين من الهنود الحمر ووضعهم في مزارع، لكنه فشل فاستعاض عنه بالزنج الأفارقة. وترافق انتشار بريطانيا في العالم موجة كبيرة لاسترقاق الزنوج والعمل في مزارع الأوروبيين والأمريكيين لأن النظام القديم الاقتصادي، كان يعتمد في موارده على الطاقة البشرية في الزراعة. ولم تكن الولايات المتحدة إلا إفرازات طبيعية للتوسع البريطاني ولذلك تجمع الرقيق بشكل مكثف في أمريكا الشمالية وأصبحت تجارة الرقيق هي التجارة الرائجة وبسببها إضافة إلى القوانين العنصرية، واستمرار التفرقة بصورة أو أخرى خلال القرنين الماضيين حرم العديد من الأمريكيين من أصل إفريقي من الحقوق والفرص. ومع صعود حركة الحقوق المدنية تحصل السود من بعض التكافؤ والفرص من خلال الوسائل القانونية والسياسية والمسيرات وغيرها من الاحتجاجات والكفاح. ومع ذلك، فإن العديد من الأمريكيين البيض لا يزال في ذهنهم التمييز العنصري.

وضمن المسيرة الكفاحية لمواجهة التفرقة العنصرية نجد ل(وليام إ. برجهات ديبويس) السبق في هذا المضمار ولحقه آخرون أمثال: لينكولن ومارتين لوثر كينج و مالكوم اكس، وغيرهم. ولد "ديبويس" (23 فبراير 1868 - 27 أغسطس 1963) في غرب ماساشوسيتس، شرق الولايات المتحدة كان أستاذ في التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد. وكان ناشطاً في مجال تحرير الإنسان والشعوب الملونة ورائداً سياسياً لحركة تحرير الزوج الأمريكية، كما كان مدافعاً قوياً عن الوحدة الأفريقية وساعد في تنظيم العديد من المؤتمر الأفريقية لدعم مطالب استقلال المستعمرات الأفريقية. وكان "ديبويس" كاتباً غزير الإنتاج. له مجموعة من الدراسات منها "روح الشعب الأسود"، هو عمل كبير من الأدب الأمريكي الأفريقي. وكتب أول أطروحة علمية حول علم الاجتماع وتركزت اهتماماته في فروع ثلاث: علم الاجتماع والسياسة والتاريخ. وعمل كمحرر لمجلة NAACP، وكتب وكتب أكثر من عشرين كتاب ونشرت أعماله كاملة في 38 مجلد بجامعة ماساشوسيتس.²

وفيما يلي سنقدم قراءة نقدية في إحدى فصول كتاب روح الشعب الأسود لـ "ديبويس" بعنوان "عن أبناء السيد والمسود" نتطرق فيها للمشكلة التي رصدها الكاتب والحل الذي قدمه.

المشكلة التي رصدها الكاتب:-

في هذا الجزء نجد أن المشكلة التي رصدها "ديبويس" تكمن في "التفرقة العنصرية" على أساس اللون بين الأمريكيين الجنوبيين ويمكن إيضاحها على النحو التالي.

أولاً: توصيف الواقع (تأزم وتفرقة عنصرية):

يرى "ديبويس" أن هذه التفرقة تسطيع أن تجدها بدءاً من أماكن الإقامة حتى أنك يمكنك أن تلمحها بوضوح سواء في المدن أو الريف، ونادراً ما يتجاوز خيرة البيض وخيرة الزوج ولا يرى البيض والسود عادة إلا أسوأ ما لدى كل منهما مما شكل حمولة ثقافية سوداوية لدى كل منهما تجاه الآخر. وعلى المستوى الاقتصادي يجري تكريس السياسة التمييز في أطر قانونية لاستغلال السود سواء تمثل ذلك في الرهن القانوني أو الرهن الحيازي أو غيرها من اليل القانونية التي يتلاعب بها البعض بلا ضمير للإيقاع بالغافلين، وعلى المستوى السياسي تجد إجهاض لحق الاقتراع وسلطة الصندوق وتغيب للمشاركة السياسية للسود لدعاوى من قبيل جهل السود وفساد خلقهم وتخوف من سيطرة الديماغوجيين، وأسى التعامل مع الصوت الزنجي سواء بالرشوة أو بالقوة والتضليل إلى درجة أن أصبح الزنجي موقناً بفكرة أن

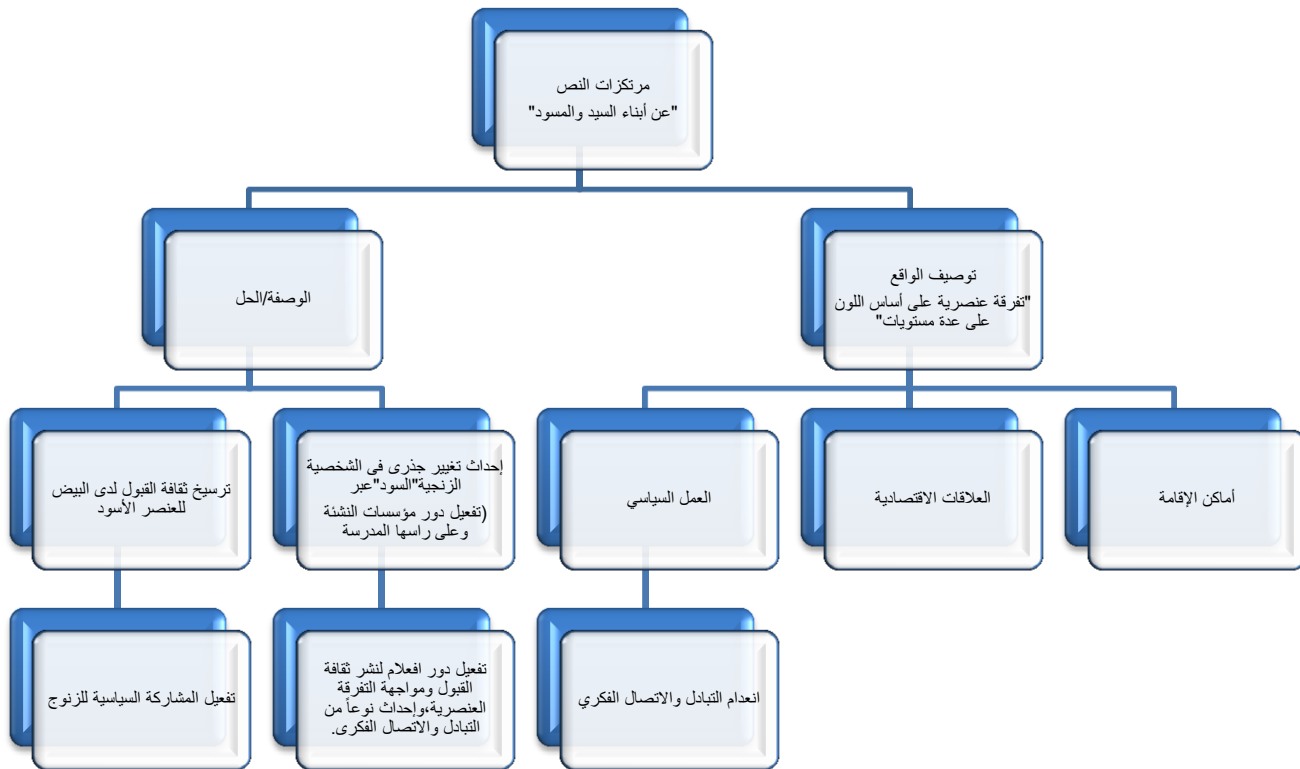
² حلمى شعراوى، الفكر السياسي والاجتماعى فى أفريقيا، القاهرة: مركز البحوث العربية والأفريقية، 2010، ص 167.

³ وليام إ. برجهات ديبويس، روح الشعب الأسود، ترجمة: أسعد حليم، تقديم: حلمى شعراوى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 151-168.

السياسة هي وسيلة للكسب الشخصي. بوسائل غير محترمة، وعلى مستوى التواصل الفكري تجد انعدام للتبادل الفكري بين البيض والسود، فالعنصران يذهبان إلى كنائس منفصلة ويعيشان في مناطق منفصلة وهما منعزلين بشكل قاطع في كل الاجتماعات العامة وهما يسافران منفصلين بل أصبحوا يقرأوا صحف وكتب مختلفة وفي معظم المكتبات والمحاضرات وحفلات الموسيقى والمتاحف إما أن الزوج لا يسمح لهم بدخولها أو يسمح لهم بشروط تمس كرامتهم. مما أدى إلى أن أحد الجانبين أصبح يتصور أن كل البيض ضيقو العقول ومتحيزين ويتصور الجانب الآخر أن الزوج المتعلمين خطرون ووقحون. وفي رأينا أن "ديبويس" كان دقيق في توصيف هذه المشكلة وتلمس عناصر في غاية الأهمية لاستقصاء أبعاد مشكلة التفرقة العنصرية ومن ثم جاءت وصفته العلاجية متميزة ولا مست لب المشكلة على النحو التالي

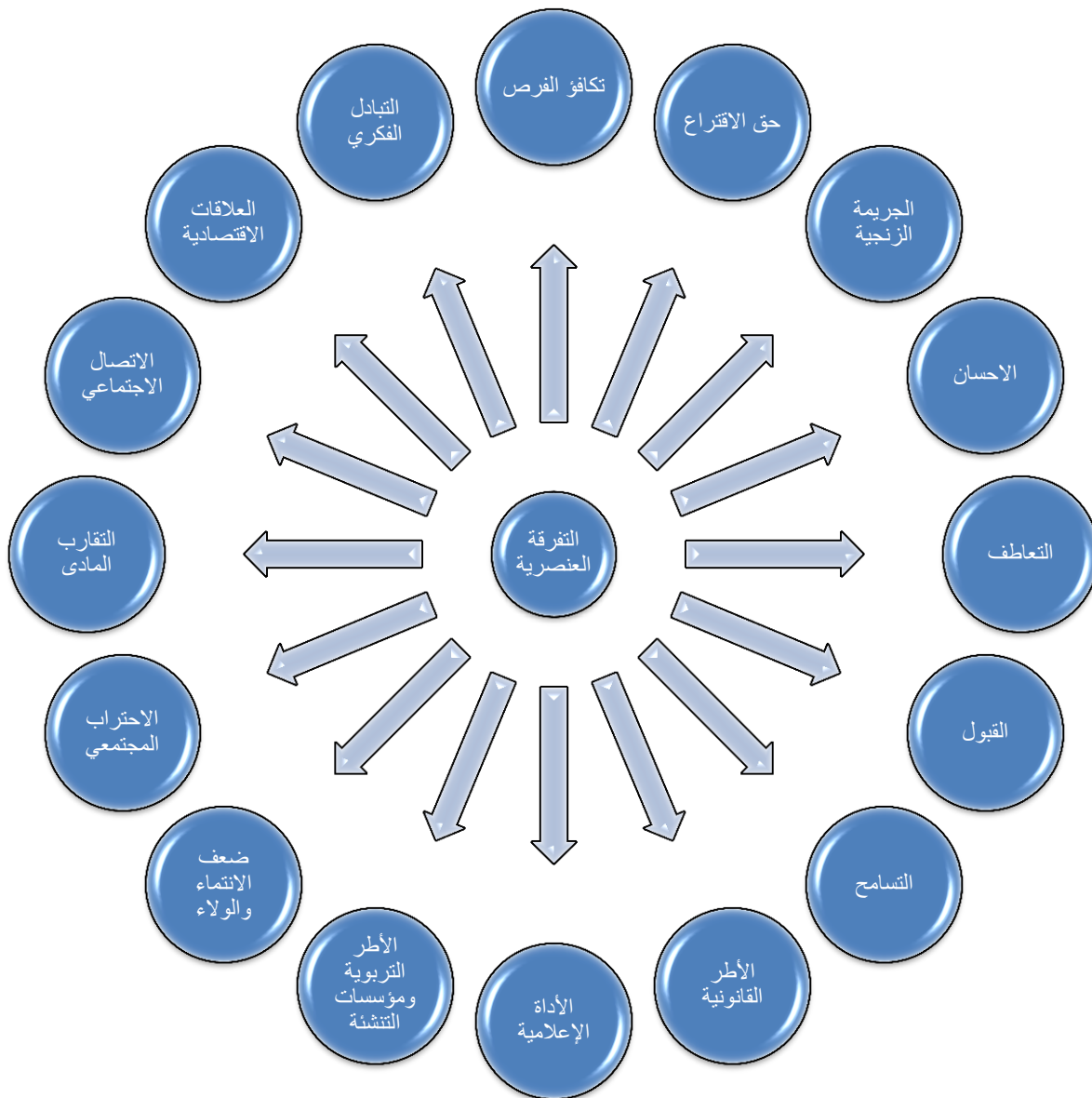
ثانياً: الوصفة العلاجية/الحل الذي قدمه "ديبويس" لمشكلة التفرقة العنصرية:

على مستوى الوصفة العلاجية يرى "ديبويس" أن مجابهة إشكالية التمييز والفصل العنصري مسؤولية مشتركة تقع على كاهل طرفي الأزمة البيض والسود فلا بد وأن يتفهم كل طرف رؤية الآخر وموقفه ويسعى لتصحيح ذاتي، فيدرك الزوج بعمق أكبر الحاجة إلى رفع مستوى جموع شعبهم وأن يدرك البيض بوضوح أكبر مما فعلوا حتى الآن من الأثر القاتل والمهلك للتعصب اللوني، فلا يكفي أن يعلن الزوج أن التعصب اللوني هو المصدر الوحيد لوضعهم الاجتماعي ولا يكفي للبيض في الجنوب أن يردو بأن وضعهم الاجتماعي هو السبب في التعصب فكلا العاملين سبب ونتيجة للأخر، ولن يؤدي التغيير في أحدهما في إحداث الأثر المطلوب فكلاهما يجب أن يتغير. ولا يعفى "ديبويس" الدولة من دورها في ترسيخ الأطر القانونية لترسيخ ثقافة التسامح والقبول ولا الأداة الإعلامية ولا المدرسة كأدوات موجهة للنشئ. والرأي العام ومصححه لمسار المجتمعات.



ثالثاً: التحليل المفاهيمي:

يستدعي مفهوم التفرقة العنصرية عدد من المفاهيم ويشترك معها على عدد من المستويات كل بحسبه، فعلى مستوى الآثار المدمرة للتفرقة العنصرية نجد المفهوم يشترك مع مفاهيم (الاحتراب المجتمعي وضعف الولاء والجريمة الزنجية) وعلى مستوى المسببات للتفرقة العنصرية نجدها تشترك مع (الأداة الإعلامية، والأداة التعليمية، والأطر القانونية .. كأدوات تمارس دور سلبي "الاعلام" أو دور مغيب لا يرسخ ثقافة القبول ولا يشرعنها) وعلى المستوى السياسي تشترك التفرقة العنصرية مع تغييب المشاركة السياسية وإجهاض حق الاقتراع وتكافؤ الفرص، وعلى المستوى القيمي تشترك التفرقة العنصرية مع عدد من المفاهيم مثل (التسامح والتعاطف والاحسان والقبول ..) كقيم ضرورية لتجاوز إشكالية التفرقة العنصرية وتفادي أثارها الكارثية. كما يشترك مفهوم التفرقة العنصرية على المستوى مجالات الاتصال مع كل من (التبادل الفكري، والعلاقات الاقتصادية و، والتقارب المادي للمساكن ، والاتصالات الاجتماعية) كمجالات ضرورية لتجسير العلاقة بين البيض والسود.



على سبيل الختام:

مثّلت أطروحت "ديبويس" منحى نضالي تجاه مشكلة متجذرة في المجتمع الأمريكي الجنوبي، وفي رأينا أنها لا تزال قائمة وإن كانت إنخفضت وتيرتها نوعياً إلا أنها لا تزال قائمة والتفرقة العنصرية في المجتمع الأمريكي لا تتوقف على اللون بحسب ما تناول "ديبويس" بل ثمة تفرقة كذلك على أساس الدين وهو ما بدى جلياً في أعقاب أحداث الحادى عشر- من ديسمبر، فقد توصل تقرير أصدره مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" إلى أنّ حالات التمييز ضد المسلمين في الولايات المتحدة ارتفعت بمعدل ثلاثة أضعاف عن عام 2000، ما يشير إلى ترد واضح في أوضاع حقوق المسلمين المدنية في أمريكا على أثر أحداث أيلول (سبتمبر) الماضي. وأشار التقرير إلى وجود شعور متزايد في أوساط المسلمين الأمريكيين بعدم دستورية العديد من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الأمريكية منذ أحداث أيلول (سبتمبر) ضد بعض المسلمين الأمريكيين ومؤسساتهم، لأنها كانت مبنية على التمييز العرقي.

وعلى مستوى الحل (معالجة إشكالية التفرقة العنصرية) نرى أنه ثمة حاجة ماسة لتعميم القيم الإنسانية واستدعاء المشترك الإنساني كأطار ناظم للتعامل يستدعى قيم المساواة والأخاء ونبذ التفرقة العنصرية واحترام الآخرين على اختلاف تنوعاتهم الأيديولوجية والدينية والعرقية واللون واللغة، وزرع هذه القيم الإنسانية وتسويدها في المجتمع ضرورى لتحقيق الأمن المجتمعى ومنع الاحتراب، ويمكن أن تمارس مؤسسات التنشئة دور فاعل في هذا المضمار فيقع على كاهل مؤسسة الأسرة دور وعلى المؤسسة التعليمية والأندية ومراكز الشباب ودور العبادة والأدوات الإعلامية كموجه ومصصح للرأى العام، كما يقع على الدولة دور فاعل في هذا المضمار بوضع أسس دستورية وقانونية تضمن المساواة وتكافؤ الفرص وتفعيلها، كل هذا كفيل بالقضاء على إشكالية التفرقة العنصرية كأحد المعضلات التي تواجه المجتمعات.

قائمة المراجع:

1. حلمي شعراوى، الفكر السياسي والاجتماعى في أفريقيا، القاهرة: مركز البحوث العربية والأفريقية، 2010.
2. وليم إ. بورجهاث ديبويس، روح الشعب الأسود، ترجمة: أسعد حليم، تقديم: حلمي شعراوى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.